من فقه العلاقات البشرية: (2) "هل العلاج النفسى "مَكْلَمَة"؟ (سبع لوحات)

الفصل الأول: عن نمو الكلام وعلاقته بالمعنى واللغة (1)

نشرة "الإنسان 2023/03/11
السنة الخامسة عشرة – العدد: 5670

بروفيسور يحيى الرخاوي – الطب النفسي، مصر
yehiatrakhawy@hotmail.com

الإهداء

هو هو إهداء الديوان "أغوار النفس":

ياتَرَى الِكْلَمَهْ حا تقدر تْفشِي سرِيَّ؟
يا ترى مين فيكُو يِسْتَحْمل مَرَارْتِي؟
يا ترى مين فيكُو حايْسَاعِي شَقَايَ؟
أَهدِي مينْ؟ أَهدى إِيهْ؟
هوَّا عُمْر المُرّ يِتْهادَى يا عالَم؟

همُّه دول حِمْل الكَلَامْ المُرّ
والدَّم اللِّي يِغْلِي.
هُمَّا دول حِمْل الحقيقةْ
قلت أهْدِيهاَ لْبلدنا،
لِلِّي غنّى .. واللِّي صَمَّاهْ الغُنَى.

يا ترى تقبل يا شَاعِر مَصْر يا
صاحب الرّبابَهْ؟
يا تَرَى يا اهْل الحَضَارَهْ والكَلَامْ
الحِلْو واللِّحْن الأَدَانْ.
تقَبلُوا منّى الهدِيَّهْ؟
أصِلى غَاوِى،
بس يا خسارَهْ مانِيشْ لا بِسْ
طاقِيَّه،
قلت انفَّط بالكَلَامْ.

الإهداء

هو هو إهداء الديوان "أغوار النفس:"

ياتَرَى الِكْلَمَهْ حا تقدر تْفشِي سرِيَّ؟
يا ترى مين فيكُو يِسْتَحْمل مَرَارْتِي؟
يا ترى مين فيكُو حايْسَاعِي شَقَايَ؟
أَهدِي مينْ؟ أَهدى إِيهْ؟
هوَّا عُمْر المُرّ يِتْهادَى يا عالَم؟
قلت انطّ فِ وسط خلق الله جميعاً..
همُّه دول حِمْل الكَلَامْ المُرّ والدَّم اللِّي يِغْلِي.
هُمَّا دول حِمْل الحقيقةْ
قلت أهْدِيهاَ لْبلدنا،
لِلِّي غنّى .. واللِّي صَمَّاهْ الغُنَى.
يَا مَاقُلْتُوا يَا أَهْل مصر يا فنَّانين،
يا عُلَمَا، يا حضارَهْ، يا تاريخ.
يا ما قُلْتُوا، ويَا مَا عِدْتُوا.
صَحّيتُونى.
[واللى بَنَتْ مَصْر كانْ فى الأصل: غِنَّيوهْ.]
الهديّه للى غنّى، قال: "بَهِيّهْ لي يَاسِينْ"،
واللِّي صَحَّى لَيْلَى والمجنونْ يِغَنُّوا لمَصْرْ تانى.
واللِّي علّمنى حلاوة المُرْ .. من جُوّا النَقَايَهْ،
واللِّي.. واللِّي.. واللِّي.. واللِّي.. والجَمِيعْ.
يا ترى تقبل يا شَاعِر مَصْر يا صاحب الرّبابَهْ؟
يا تَرَى يا اهْل الحَضَارَهْ والكَلَامْ الحِلْو واللِّحْن الأَدَانْ.
تقَبلُوا منّى الهدِيَّهْ؟
أصِلى غَاوِى،
بس يا خسارَهْ مانِيشْ لا بِسْ طاقِيَّه،
قلت انفَّط بالكَلَامْ.

*****

مقدمة:

هذا هو الكتاب الثانى انطلاقا من ديوان" **أغوار النفس)** "بالعامية المصرية)، وقد كان الكتاب الأول : "**مقدمة فى نقد العلاج النفسى بين الشائع والإ□لام والعلم والناس** "تمهيداً عاماً لهذه الكتب الثلاثة التالية، المنبعثة من نفس الديوان.

فى هذا الكتاب الثانى نعرض سبع لوحات شعرية على "لسان حال" أصحابها أو تقمصا لتصوراتى عنهم كما صاغها الشعر، وليس كما هم، وكنت أحسب أنها لوحات نقد العلاج النفسى إ□ أننى تبينت أن **جر□ة النفسمراضية التركيبية** بها أكبر وأهم، الأمر الذى دفعنى لنشرها مسلسلة فى النشرة اليومية "الإنسان والتطور" باسم" **فقـ□ العلاقات البشرية** "وهو ا□سم الذى ارتضيته للأعمال الأربعة الحالية.

هذا، وقد نشرت لوحات هذا الجزء فى الديوان تحت عنوان" **جنازات**"، لكننى عدلت عن ذلك وفضلت أن تنشر كل الصور الشعرية باسم واحد وهو" **لوحات.**"

وكما ذكرت فى المقدمة العامة فى الكتاب الأول فإنه سوف يتبع هذا الكتاب الحالى الكتاب الثالث بعنوان" **:قراءة فى □يون الناس" ويشمل خمس □شرة لوحة.**

ثم الكتاب الرابع بعنوان" **قراءة فى نقد النص البشرى للمُعَالِج" وهو** ما شرحتُ ما يميزه فى المقدمة العامة، ثم سيأتى ذكر مصادره وطبيعته فى مقدمته حين يظهر.

*****

الفصل الأول:

□ن نمو الكلام و□لاقتـ□ بالمعنى واللغة(1)

الكلام هو من أحدث الأدوات التى تساعد البشر على التواصل فيما بينهم لكنه ليس بالضرورة الأداة الأقدر، وما يهمنا هنا هو تحديد متى ينفصل الكلام عن تاريخ تطوره، ومتى ينفصل عن المعنى، وعن الغاية، وعن سائر وظائفه، بل وعن اللغة، ومتى يؤدى عكس وظيفته[2]؟

1-ينشأ الكلام عند الطفل حين يرتبط الصوت عادة بما تشير إليه الكلمة، حتى أنه كثيرا ما يستعمل الطفل نفس الكلمة، لتعنى معانى كثيرة، وكل الفرق يكون فى التنغيم وما يصاحبه من إشارات نتيجة لحضور الموضوع (الشىء) عادة أمام حواسه، أو نتيجة □ختلاف السياق أو الموقف الذى يوجه فيه نفس الكلمة المنطوقة إلى المعنى المختلف. المثال الذى أحب أن أستشهد به كان طفلا عزيزا بمثابة حفيدى – أصبح الآن جراحا استشاريا كبيرا فى إنجلترا – نَطَقَ كلمة "كَرَة" مبكرا، ولم تكن بهذا الوضو□ بل أظن أنها كانت "كوووية"، وبدأ يطلق نفس اللفظ على عدد هائل من الأشياء، بل والأشخاص، مع تغير التنغيم والإيقاع المصاحب أحيانا بالإشارة إلى ما يريد، فهذا "كُويَة"، وذاك "كُوُووويَاااة"، وتلك "كُوّة"، وهذه "كره" (بعد أن استطاع نطق الراء إ□ قليلا)، هذه المرحلة هى نوع من الربط بين **الصوت والإشارة والموضوع**، فهى مرحلة التجربة والخطأ، حتى تتميز الأشياء فيما بعد مع اكتساب أبجدية د□لية أكثر فأكثر .Denotation

2-يستقل اللفظ عن ما يشير إليه "حا□"، ويصبح هو ذاته كيانا قائما بذاته، يحتوى (يتضمن) المعنى المراد، سواء حضر الشىء المراد أمامه (أمام حواسه) أم حضر فى ذاكرته أم فى وعيه، هنا يتضمن اللفظ محتواه بما يعنيه، وهذه هى مرحلة التضمين.Connotation

3-قد يستقل اللفظ تماما عن موضوعه بشكل مباشر ليصبح موضوعا فى ذاته، وهذا □ يعنى أنه ينفصل عن المعنى أو عن الغاية التى نشأ ليؤديها، وإنما يعنى أن اللفظ يكتسب قدرة ذاتية، يستعملها فى وظيفته للاقتصاد، والتوافيق والتباديل، مما يتيح له كرمز له مضمونه أن يقوم بتشكيل المفهوم تلو المفهوم، فى تصعيد متكامل.Verbalization

فإذا رجعنا الآن إلى ذلك الطفل بعد أن أصبح جرّاحا "استشاريا بريطانيا" عظيما، ذلك الطفل الذى

فى هذا الكتاب الثانى نعرض سبع لوحات شعرية على "لسان حال" أصحابها أو تقمصا لتصوراتى عنهم كما صاغها الشعر، وليس كما هم، وكنت أحسب أنها لوحات نقد العلاج النفسى إلا أننى تبينت أن جرعة النفسمراضية التركيبية بها أكبر وأهم

الكلام هو من أحدث الأدوات التى تساعد البشر على التواصل فيما بينهم لكنه ليس بالضرورة الأداة الأقدر، وما يهمنا هنا هو تحديد متى ينفصل الكلام عن تاريخ تطوره، ومتى ينفصل عن المعنى، وعن الغاية، وعن سائر وظائفه، بل وعن اللغة، ومتى يؤدى عكس وظيفته([2])؟

ينشأ الكلام عند الطفل حين يرتبط الصوت عادة بما تشير إليه الكلمة، حتى أنه كثيرا ما يستعمل الطفل نفس الكلمة، لتعنى معانى كثيرة، وكل الفرق يكون فى التنغيم وما يصاحبه من إشارات نتيجة لحضور الموضوع (الشىء) عادة أمام حواسه، أو نتيجة لاختلاف السياق أو الموقف الذى يوجه فيه نفس الكلمة المنطوقة إلى المعنى المختلف

يستقل اللفظ عن ما يشير إليه "حالا"، ويصبح هو ذاته كيانا قائما بذاته، يحتوى (يتضمن) المعنى المراد، سواء حضر الشىء المراد أمامه (أمام حواسه) أم حضر فى ذاكرته أم فى وعيه، هنا يتضمن اللفظ

كان يستعمل لفظ الكرة لكل شيء تقريبا، وطلبنا منه تعريف لفظ الكرة، فقد يرجع إلى القاموس، وسوف يجد أن الكرة: "هى كل جسم مستدير، ومنه الكرة الأرضية، والكرة أداة مستديرة من الجلد ونحوه يلعب بها..(الوسيط) إلخ"، وهكذا أصبح للفظ مضمون متعارف عليه بالتحديد لإفادة الحضور العيانى لشيء بذاته حتى لو لم يوجد هذا الشيء حا.

فإذا انتقلنا إلى المجاز وقلنا بالعامية "الكورة اجوان" (حتى لو ترجمناها إلى الفصحى "الكرة ليست إ أهدافا")، فإننا نعنى هذا الجسم المستدير... إلخ، كما ورد فى المعجم، وإنما نحن نتكلم عن مفهوم أكثر تعقيدا يشير إلى أنه "من لم يحرز أهدافا فى ملعب الكرة، فكأنه لم ينجح مهما بلغت مهارته، "حتى لو تكلمنا عن "اتحاد الكرة"، فإننا نعنى معنى غير التضمين المغلق، وغير المفهوم المجازى الذى أشرنا إليه حا، فبمجرد أن يصبح لفظ الكرة "مضافا إليه"، يختلف معناه، وهكذا.

اغتراب الكلام:

مع تطور القدرة الكلامية، بد أن تخف جرعة التركيز على أن يحمل كل لفظ كل المعنى المتضمن فيه، ذلك المعنى الذى نشأ اللفظ حتوائه، **وهذا جيد اقتصاديا للتخفيف من بء حضور كل المعنى فى كل اللفظ ليحتل بؤرة الو ى باستمرار**، إذ أن هذا الحضور الكلى المستحيل بد وأن يبطيء من سرعة الإفادة والتواصل حتى ربما تتعطل، **ومن مثل هذا فنحن فى حاجة مناسبة لقدر من التخفيف يحول دون تضمين كل لفظ كل معناه**، وهكذا يصبح هذا التخفيف حيلة دفاعية تساعدنا على تجنب المواجهة المعطِّلة بالسرعة البطيئة، وأيضا يساعدنا على التخلى المشروع عن مسئولية تفعيل ما تضمنه كل كلمة من معنى قد يتطلب فعلا وموقفا وقرارا حا... إلخ.

مثل أية آلية دفاعية، إذا ما زادت وظيفتها الدفاعية عن حاجتنا إليها تنحرف بمسار النمو أو توقفه تماما، دعونا نتناول الآن ما يحدث للكلام إذا انحرف بالنمو عن مساره إلى ما هو زائف مغترب، إن ما يحدث حين ينفصل الكلام أكثر فأكثر فأكثر عن مضمونه وحفزه هو: أن يستقل عن معناه بدرجات متزايدة حتى يفقد أصول وظائفه، فبد من أن يصبح تبادله سعيا إلى الفهم والتفاهم، يصبح تبادله أقرب إلى الدفاعات ضد الفهم، متجاوزا المعنى المشترك المراد، فلا يعود يؤدى وظيفته المعرفية، بل يصبح عبئا على اللغة الكائن الحى، ومن ثم على الوجود البشرى المتكامل، وينقلب عائقا للنمو، ومضيعة للوقت، ومظهرا للاغتراب. الأرجح أن هذا هو ما يسمى بالعامية الساخرة: أحيانا "طق حنك" أو "أى كلام" أو "كلام فى الهجايص."

وقد عبرت اللغة الشبابية عن هذا اغتراب بقاموس كامل لمن شاء أن يرجع إليه، حتى أننى فسرت ظهور هذه اللغة الشبابية بأنها احتجاج ضمنى على ما آل إليه حال الكلام اغترابا، واعتبرت أن هذه اللغة الجديدة المرفوضة من المؤسسات والسلطة على حد سواء، هى نوع من تنشيط حركية اللغة، مثلما يقوم الشعر بتجديد اللغة، حين يعيد تشكيل الصورة بنفس الأبجدية اللفظية ليبدع لحنا مختلفا فى تشكيل جديد، وتفصيل ذلك فى مبحثى "حركية اللغة بين الشعر والشارع.[3]"

من خلال هذا اغتراب المتمادى **تتحول الكلمات إلى أصوات**، مهما كانت هى نفس الكلمات ذات التاريخ والمعنى **كما قد تتحول الجمل إلى مقاطع مفككة بلا تشكيل ضام أو هادف، ويتحول هدف الكلام إلى "تزجية للوقت"**، كوسيلة دفاعية ضد الوعى الأعمق بالمعنى، فالإلزام بالفعل، ويتحول التواصل المحتمل بالكلام الحى، إلى صفقات تسكينية قصيرة العمر.

يصدق كل ذلك فى الحياة العامة مثلما يصدق فى بعض ما يسمى العلاج النفسى الذى وصف فى كثير من الأحوال بأنه: "العلاج بالكلام."

وبعد

محتواه بما يعنيه، وهذه هى مرحلة التضمين Connotation

قد يستقل اللفظ تماما عن موضوعه بشكل مباشر ليصبح موضوعا فى ذاته، وهذا لا يعنى أنه ينفصل عن المعنى أو عن الغاية التى نشأ ليؤديها، وإنما يعنى أن اللفظ يكتسب قدرة ذاتية، يستعملها فى وظيفته للاقتصاد، والتوافيق والتباديل، مما يتيح له كرمز له مضمونه أن يقوم بتشكيل المفهوم تلو المفهوم، فى تصعيد متكامل Verbalization

مع تطور القدرة الكلامية، لابد أن تخف جرعة التركيز على أن يحمل كل لفظ كل المعنى المتضمن فيه، ذلك المعنى الذى نشأ اللفظ لاحتوائه، وهذا جيد اقتصاديا للتخفيف من عبء حضور كل المعنى فى كل اللفظ ليحتل بؤرة الوعى باستمرار

فنحن فى حاجة مناسبة لقدر من التخفيف يحول دون تضمين كل لفظ كل معناه، وهكذا يصبح هذا التخفيف حيلة دفاعية تساعدنا على تجنب المواجهة المعطِّلة بالسرعة البطيئة،

أية آلية دفاعية، إذا ما زادت وظيفتها الدفاعية عن حاجتنا إليها تنحرف بمسار النمو أو توقفه تماما

كما بينت فى الكتاب الأول سوف أبدأ غالبا بإثبات المتن الشعرى متكاملا قبل المضى فى انطلاق منه أو شرحه، فقرة فقرة، لعل فى ذلك اعتذاراً مناسبا لما ألحقه به الشر..!

– 1 –

مرّ الهَوَا صفَّرْ، سِمْعِنَا الّصُوتْ كإن النَّعْش بِيْطلّع كَلاَمْ:

"لأْ..، لسّهْ..، إسْكُتْ،.. لَمْ حَصَلْ.،

سيمَا ..، ياتَاكْسِى، .. لسَّه كامْ ؟" أىّ كلام.

ألفاظْ زينَهْ، مَسْكِينَهْ،

بِتْزَقْزَقْ، وتْصَوْصَوْ،

.. وِخَلاَصْ!!

اللفظ ماتْ مِنْ ركِنِتُهْ.

من لعبة العسكرْ وطول تخبيتّه،

ظرف رصاصْ فاضِى مصدّى فْ علبتُه.

لما القلم سنه اتقصفْ؛ عملته تلبيسهْ تمكّن ماسْكتهْ،

واهِى شخبطهْ.

– 2 –

واحدْ نايم مِتْصَلْطَحْ، وعْنيه تتفرجْ:

على رسم السقفِ

وْعَلَى أفكارُو اللى بتلفْ، تْلِفْ، تْلِفْ،

وكلامْ فى كلامْ .. هاتَكْ يا كَلاْم.. يا حرامْ!!!!

والتانِي قاعِدْلِى وَرَاه، على كرسِى مدَهَّبْ.

قلبه الأبيض طيّبْ. وسَماعُهْ لَمْ يِتْعيِبْ،

عمال بيفسَّرْ أحْلاَمْ

وصاحبْنا يرصّ فْ أوهامْ،

وعُقدْ، ومركَّب، و"المكتوب"

و: قدَرْ، وحكاوِى، وْصَفّ ذْنوب.

وأخينَا شَفَايفُهْ قِفْل رْصاص،

ووْدانُهْ يا خويا شريطْ حسَّاسْ.

بِسَمعْ حكاياتْ .. حكاياتْ،

وتمرّ ساعاتْ وساعاتْ،

(ما أظنّشْ أيوبْ ماتْ).

"إشى عدّى البحر ولا اتْبلّشْ"؟؟

"قالّك: إلعجل فْ بطن امه"!!!!...

أرْزَاقْ ..!!

وخلايق لابْسَه الوِشّ زْوَاقْ.

–3–

اللفظ قام من رَقْدِتُه.

ربك كريم يِنْفُخْ فى صُورْتُه ومَعْنِتُه.

يرجعْ يغنى الطِّير عَلَى فْروعِ الشَّجَرْ.

إن ما يحدث حين ينفصل الكلام أكثر فأكثر فأكثر عن مضمونه وحفزه هو: أن يستقل عن معناه بدرجات متزايدة حتى يفقد أصول وظائفه، فبدلا من أن يصبح تبادله سعيا إلى الفهم والتفاهم، يصبح تبادله أقرب إلى الدفاعات ضد الفهم، متجاوزا المعنى المشترك المراد

عبرت اللغة الشبابية عن هذا الاغتراب بقاموس كامل لمن شاء أن يرجع إليه، حتى أننى فسرت ظهور هذه اللغة الشبابية بأنها احتجاج ضمنى على ما آل إليه حال الكلام اغترابا

اعتبرت أن هذه اللغة الجديدة المرفوضة من المؤسسات والسلطة على حد سواء، هى نوع من تنشيط حركية اللغة، مثلما يقوم الشعر بتجديد اللغة، حين يعيد تشكيل الصورة بنفس الأبجدية اللفظية ليبدع لحنا مختلفا فى تشكيل جديد

من خلال هذا الاغتراب المتمادى تتحول الكلمات إلى أصوات، مهما كانت هى نفس الكلمات ذات التاريخ والمعنى كما قد تتحول الجمل إلى مقاطع مفككة بلا تشكيل خاص أو هادف، ويتحول هدف الكلام إلى "تزجية للوقت"، كوسيلة دفاعية ضد الوعى الأعمق بالمعنى، فالإلزام بالفعل

ويقول"ياربّ"،

وتجيله ردَ الدعْوَهْ مِنْ قَلْبُه الرّطِبّ.

-4-

ألفاظ بتهِزّ الكُونْ،

وبتضربْ فى المَلْيَانْ،

وتغيَّر طَعْمِ الضِّحْكَهْ،

وتشع النُّورْ مِا الضَّلمَهْ،

وبتفضَحْ كِذْب السَّاكِتْ،

وبْتِفْقِسْ كل جَبَانْ.

*****

.....

.....

ونواصل الأسبوع القادم" انطلاقا من المتن"

- [1]يحيى الرخاوى: (2018) كتاب "فقه العلاقات البشرية" (2) (عبر ديوان: "أغوار النفس") **"هل العلاج النفسى "مَكْلَمَة"؟ (سبع لوحات")**، الناشر: جمعية الطب النفسى التطورى - القاهرة.

- [2]أنا أكتب هذا الشرح دون الرجوع إلى مراجع أهل الاختصاص الدقيق، لأن هدفى هنا هو عملىّ تدريبىّ أساساً.

- [3]ورقة قدمتها فى ندوة فى المجلس الأعلى للثقافة سنة 2003. وهى موجودة بنفس الأسم بالموقع www.rakhawy.net

"إشى عدّى البحر ولا اتْبَلّش"؟؟

"قالّك: إلعجل فىْ بطن امه"!!...!!

أرْزَاقْ ..!!

وخلايق لابْسَه الوِشّ زْوَاقْ

اللفظ قام من رَقْدِتُه.

ربك كريم بِنْفُخْ فى صُورْتُه

ومَعْنِتُه.

يرجع يغنى الطِّير عَلَى فْروع الشَّجَرْ.

ويقول"ياربّ"،

وتجيله ردَ الدعْوَهْ مِنْ قَلْبُه الرّطِبّ

ألفاظ بتهِزّ الكُونْ،

وبتضربْ فى المَلْيَانْ،

وتغيَّر طَعْمِ الضِّحْكَهْ،

وتشع النُّورْ مِا الضَّلمَهْ،

وبتفضَحْ كِذْب السَّاكِتْ،

وبْتِفْقِسْ كل جَبَانْ

إرتباط كامل النص مع المقتطفات:

http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD110323.pdf

إرتباط كامل النص

https://rakhawy.net/%d9%85%d9%86-%d9%81%d9%82%d9%87-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b4%d8%b1%d9%8a%d8%a9-2-%d9%87%d9%84-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7%d8%ac-%d8%a7%d9%84%d9%86/

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثالث العاشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 20 على الويب

23 عاما من الكدح... 20 عاما من الإنجازات

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf